ECHRD

مايو 2023

الدراما وواقع حقوق الإنسان

إعداد

زينب صالح

تحرير

محمد البدوي

[Date]

الدراما وواقع حقوق الإنسان

الائتلاف المصري لحقوق الإنسان والتنمية

وهي المبادرة التي أطلقتها مؤسسة ملتقى الحوار للتنمية وحقوق الإنسان تتكون من 500 من جمعيات ومنظمات تنموية في 9 محافظات يهدف إلى تعزيز أوضاع حقوق الأنسان في مصر. وتعزيز الشراكات وتبادل الخبرات

وتوزعت الجمعيات والمؤسسات الأهلية، المشاركة في المبادرة في 9 محافظات وهي: "القاهرة، الغربية، البحيرة، الإسكندرية، بنى سويف، سوهاج، الأقصر، قنا وأسوان

صفحة الفيس بوك https://www.facebook.com/profile.php?id=100090569196942

© ALL RIGHTS RESERVED- 2021
FDHRD

الائتلاف المصري لحقوق الإنسان والتنمية

مقدمة

تُعرف مصر بتاريخها الطويل من الدراما والمسلسلات الإذاعية والتلفزيونية، التي بُث الكثير منها داخل الدول الناطقة بالعربية. بدأت تلك المسيرة منذ افتتاح الإذاعة المصرية عام 1934، واستمرت حتى يومنا هذا منتجة آلاف المسلسلات الاذاعية والتلفزيونية التي جذبت ملايين المشاهدين وجعلت من اللهجة المصرية أكثر اللهجات شيوعًا وفهمًا وشهرة داخل الدول العربية. حيث تعد الدراما من الأشكال التليفزيونية المفضلة التى تنجذب إليها شرائح المجتمع، لأنها تتعرض لمختلف المواقف الحياتية وتثير لدى المشاهد الرغبة فى محاكاة ما يقدم له، حيث تمثل الدراما جزءًا أساسيًا من الحياة فينظر لها البعض على أنها تقدم الحياة وما بها من قضايا ومشكلات كما أنها تساعد المشاهد في التعرف على أنماط من الشخصيات قد لا يتمكن من مشاهدتها في الواقع. ويقبل الجمهور المصرى على مشاهدة الدراما المصرية لما تمثله من أهمية ترتبط بالقضايا التي يعيشها في المجتمع.

كما ان للدراما التلفزيونية دور فى تعزيز ثقافة حقوق الإنسان ونشر الوعي بها بين المواطنين. حيث تعتبر من أهم الفنون التى لها القدرة على التناول غير المباشر للقضايا التي تهم الجمهور ويمكنها إذا استغلت إمكانياتها وقدراتها فى التأثير أن تدعم قيم حقوق الانسان وتعمل على نشر ثقافة ومبادئ حقوق الانسان. فإن للدراما وضعًا خاصًا من حيث نفاذية التأثير على الجمهور مقارنَة بصنوف الإبداع الأخرى كالرواية والقصة القصيرة والشعر، وكم من أعمال لكبار الكتاب لم تذع وتنتشر جماهيريًا إلا بعد أن اتخذت الشكل الدرامى. لأن الدراما عمومًا والدراما التلفزيونية على وجه الخصوص لها تأثير بالغ على المستويين الوجداني والسلوكي لبعدها عن الرسائل التوجيهية المباشرة، ولتقديمها القيم المطلوب ترسيخها في قالب إنساني يلامس حياة المواطنين.

وقد حدث تطور ملموس في اهتمام دراما التلفزيون بقضايا ومبادئ حقوق الانسان وساعدت بعض الاعمال الدرامية في الآونه الأخيرة في نشر درجة كبيرة من الوعى ببعض قضايا حقوق الانسان، ولكن على الجانب الآخر لم تساعد الكثير من الاعمال الدرامية على دعم وتأصيل قيم حقوق الإنسان في المجتمع، بل ساعدت على نشر قيم وعادات سلبية ومناهضة لحقوق الانسان فى المجتمع، نتيجة لما تحظى به هذه الاعمال من قدرة على الانتشار وإثارة الجدل. حيث اصبحت الدراما التلفزيونية تؤثر على سلوكيات أفراد المجتمع من بلطجة وعنف وشغب وانتشار المخدرات والتحرش، علاوة على انهيار وتفكك الأسرة من ارتفاع نسب الطلاق وانتشار أفكار الخيانة الزوجية وأنتهاكات لحقوق المرأة والاطفال، وكذلك تؤثر الدراما في الأطفال الذين يميلون إلى التقليد، خاصة عندما يكون البطل محبوبًا، بالإضافة إلى ما تروج له من قيم وسلوكيات دخيلة على المجتمع.

وسنقوم بمناقشة هذا الموضوع من خلال عدة محاور تتمثل فيما يلي: توضيح المقصود بالدراما، شرح الدور الذي تقوم به الدراما في التوعية بحقوق الانسان، تحليل التأثير السلبي والايجابى للدراما على حقوق الانسان مع عرض بعض النماذج من الاعمال الدرامية المصرية، عرض جهود المجلس القومى لحقوق الانسان في دعم الاعمال الدرامية التي تعمل على نشر الوعي بحقوق الانسان، وتقديم بعض المقترحات لزيادة فاعلية الدراما في التأثير الايجابى على حقوق الانسان.

المقصود بالدراما:

هي محاكاة للسلوك البشري وعرضه حيث تقتبس مادتها من الحياة الواقعية وتعيد تمثيل الواقع بطريقة قابلة للتصديق وبأسلوب خاص له طبيعة فنية متكاملة يمكن من خلاله التأثير على مشاعر المشاهدين وأفكارهم واتجاهاتهم، كما تُعرف الدراما على أنها شكل فني يعتمد على تصور الكاتب لقصة معينة تدور حول مجموعة من الشخصيات المختلفة التي تمر بالعديد من المواقف والأحداث المتتالية حيث يقوم بعرض تلك القصة مجموعة من الممثلين الذين يقومون بتقليد الشخصيات الحقيقية في الواقع في أقوالهم وأفعالهم.

فهى فن يؤدى على المسرح، أو التلفزيون، أو الراديو، أو السينما وهي مصطلح يُطلق على المسرحيات والتمثيل بشكل عام، كما تُعرف على أنها حدث، أو ظرف مثير، أو عاطفي، أو غير متوقع، وتُعرف أدبيًا على أنها تركيب من الشعر أو النثر يهدف إلى تصوير الحياة، أو الشخصية، أو سرد القصة التي عادًة ما تنطوي على الصراعات والعواطف من خلال الحدث والحوار المصمم عادًة للأداء المسرحى.

والهدف الأول من الدراما من تقديم أي عمل هو الإضاءة على بعض مشكلات وآفات المجتمع ونقل رسالة مباشرة أو غير مباشرة للمشاهدين ليأخذوا العبرة منها وينقلوها إلى الأجيال القادمة بالإضافة إلى التثقيف والإرشاد والوعي والتنمية بكافة أشكالها الثقافية والاجتماعية والسياسية، والاقتصادية والأخلاقية والدينية والفكرية والمساهمة في تحقيق التعليم والتربية.

دور الدراما فى التوعية بقضايا حقوق الانسان:

يعتبر الإعلام المرئي من أكثر الوسائل تأثيرًا على الفرد في المجتمع، مما يعني أن هذه الوسيلة الإعلامية تقع عليها مسؤولية كبيرة في مجال التثقيف بحقوق الإنسان، وتأتي هذه المسؤولية من خلال التنوع البرامجي الذي يبثه التلفزيون بشكل خاص. ولا يقتصر الأمر في توعية المجتمع بثقافة حقوق الإنسان على البرامج الثقافية أو

الائتلاف المصري لحقوق الإنسان والتنمية

نشرات الأخبار أو اللقاءات الحوارية وغيرها، بل إن للدراما أهمية كبيرة في هذا الجانب، كونها تلامس الواقع وتعكس الممارسات المجتمعية بصورة واقعية إلى المشاهدين في منازلهم، والتنوع والأساليب الدرامية المستخدمة تساهم بشكل فعال في ترسيخ الأفكار المطروحة في ذهن المشاهد بطريقة كبيرة، قد تكون أهم من أي برنامج آخر يمكن تقديمه من خلال شاشة التلفزيون.

والمتتبع للدراما المصرية يجد أن ثقافة حقوق الإنسان حاضرة بشكل ملحوظ في بعض المسلسلات الرمضانية، خاصَة الحقوق التي توليها الدولة اهتمامًا بالغًا من خلال التصديق والانضمام إلى الاتفاقيات المعنية بحقوق الإنسان وسن القوانين المحلية وإيجاد آليات الحماية المتعلقة بهذه الحقوق. ومع ذلك؛ نجد أنفسنا في حاجة ماسة إلى تعزيز الاهتمام في استخدام الدراما كآلية من آليات حماية وتعزيز مفاهيم حقوق الإنسان في بعض المواضيع، فنجد في كافة الأعمال الدرامية سواء كانت محلية أم خليجية أم عربية القليل من الاهتمام في نشر الوعي بثقافة حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة، وكذلك تمكينهم من العيش بكل سلاسة مع قرنائهم في المجتمع بدون أي وصمة أو تمييز.

كذلك تعكس الدراما اهتمامًا متفاوتًا بقضايا حقوق الطفل والإهمال والإساءة لهذه الفئة، رغم الفواجع التي نسمعها دائمًا من وفيات وإصابات وغيرها من الأحداث، حيث يعد الأطفال هم الفئة الأولى بالرعاية ومن المهم جدًا توجيه الدراما والإعلام بتكثيف العمل على نشر التوعية والتثقيف الخاصة بهذه الفئة. ومع الاهتمام الجيد الذي نلمسه بقضايا حقوق الإنسان، تبقى الدراما التلفزيونية المحلية بحاجة إلى خطوات متقدمة أخرى في نشر ثقافة حقوق الإنسان من خلال الطرح الدقيق للمعلومات، لذا فإن مسؤولية المختصين بمجال الإعلام والمختصين بكتابة الأعمال الدرامية باتت كبيرة ومهمة لتحديث المعلومات الخاصة بالاتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان وآلية توظيفها سواء كان في الدراما أم حتى في النشاط المسرحي للرقي بهذه المنصات وضمان حرية الفكر والإبداع الذي يساهم في تقديم دراما جيدة قادرة على التأثير إيجابا في المجتمع.

وتعتبر الدراما أداة رئيسية من أدوات نشر ثقافة حقوق الإنسان من خلال التعريف بهذه الحقوق والدفاع عنها بجانب رصد وكشف الانتهاكات المستمرة لمنظومة حقوق الإنسان التي نصت عليها المواثيق والاتفاقيات الدولية، ويعد الوعي المجتمعي لهذه القضية بالتغطية الموضوعية لهذه الحقوق هو الخطوة الأساسية التي يجب التركيز عليها لكي نرتقي في سلم احترام وحماية حقوق الإنسان. وتستطيع الدراما التليفزيونية أن تلعب دورًا حيويًا وإيجابيًا في معالجة قضايا حقوق الإنسان.

الأمانة المصرية لحقوق الإنسان والتنمية

وهكذا فان الإهتمام المتزايد بقضية حقوق الإنسان وما تثيره من اشكاليات وقضايا وضع على الدراما مسئولية كبيرة في الاهتمام بهذه القضية باعتبارها قيمة جوهرية تتبناها وتنأي بها عن الأهواء والاعتبارات السياسية من خلال التوعية بالمفاهيم الاساسية لحقوق الإنسان والكشف عن انتهاكاتها، ومما لاشك فيه أن للدراما دور تعليمى هام من خلال التعبير عن قضايا حقوق الإنسان، وتشكيل الرأى العام نحو هذه الحقوق، كما تستطيع الدراما أن تقوم بدور هام فى صياغة الأفكار والمفاهيم المُتعلقة بقضايا حقوق الإنسان لدى المُبدعين والمثقفين، وفئات الطبقة الوسطى المتعلمة، الذين يمثلون فئة وسيطة فى نقل المعرفة وتشكيل المفاهيم وصياغة مواقف واتجاهات الجماهير نحو قضايا حقوق الإنسان. وفى الوقت نفسه، نجد أن الدراما يمكن أن تلاقى من العقبات ما يحول بينها وبين انتشار ثقافة حقوق الإنسان والتوعية بها بين الأفراد وداخل المجتمعات، وتتحدث الدراسات الدولية عن ان الإقناع بقضايا حقوق الإنسان يمر بخمس مراحل وهى: الإدراك ثم الاهتمام ثم المحاولة أو التجربة ثم الاقتناع وأخيرًا التبنى، وتلعب الدراما الدور الرئيسى فى المراحل الثلاث الأولى أما الاقتناع والتبنى فيتحقق عن طريق الاتصال المباشر الشخصى أو الجمعى.

وتلعب الدراما دورًا مهمًا فى دعم وتعزيز حقوق الإنسان وفى تأكيد الترابط بين كافة الحقوق، كما لها أهمية متزايدة فى عالمنا العربى الذى لا يزال يعانى قصورًا فى التوعية بقضايا حقوق الإنسان وثقافتها ومفاهيمها، مما يضع على عاتق الدراما مسئولية خاصة بنشر المعرفة حول قضايا حقوق الإنسان، وكذلك كشف الانتهاكات الخاصة بهذه الحقوق. كما يقع على الدراما أيضًا دور مهم فى تدعيم بعض القيم الخاصة بحقوق الإنسان، لعل من أهمها ما قدمته الدراما التليفزيونية من أعمال تُعلى من قيمة حرية التعبير، وتأكيد مبدأ المساواة بين المواطنين ووضع قضايا حقوق المرأة والطفل وذوى القدرات الخاصة فى أولويات أجندة اهتمامات الجمهور. ووفق ذلك تلعب وسائل الإعلام دورًا حاسمًا فى التأثير على مسار حقوق الإنسان ليس فقط من خلال دورها فى تأسيس الوعى العام لهذه الحقوق وتكريس المفاهيم الخاصة بها، ولكن أيضًا فى مجال التأثير بشأن حماية هذه الحقوق من خلال دورها الرقابى وقدرتها على إثارة القضايا المختلفة وتوفير المعلومات الخاصة بها ومتابعتها، لكن بقدر ما تمتلك الدراما من إمكانيات لتعزيز حقوق الإنسان والنهوض بها، فإنها يمكن أن تكون عنصر إعاقة وتضليل سواء من حيث تزييف الوعى بمفاهيم معينة أو تكريس أنماط وصور ذهنية سلبية عن أشخاص أو فئات، ومن هنا تأتى أهمية رصد كيفية تعامل الدراما مع حقوق الإنسان. ولذا يتعين على الدراما أن تقدم المعلومات الصحيحة البعيدة عن التحيُز بخصوص حقوق الإنسان بما يُسهم فى الارتقاء بمستوى وعى المواطن حتى تصبح جزء من سلوكياته العامة.

أن الدراما كفن وكوسيلة في علاقتها بعملية نشر ثقافة حقوق الإنسان تقودنا إلى ما هو أبعد من تحديد الكيفية والإمكانات المتاحة للدراما لتلعب دورًا في نشر ثقافة حقوق الإنسان بالنظر إلى الدراما نفسها كحق من حقوق الإنسان كما تنص علي ذلك تفصيلًا وإجمالًا المواد (21) ، (22) ، (24) و (27) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان. وهنا تكون الدراما بقدر ما هي وسيلة لنشر ثقافة حقوق الإنسان واحدة من مكونات هذه الثقافة التي يراد نشرها فهي تنتمي إلى الحقوق الجمالية والتربوية وحق حرية التعبير فعلي سبيل المثال فقط نصت المادة (27) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان علي أن لكل شخص حق المشاركة الحرة في حياة المجتمع الثقافية وفي الاستمتاع بالفنون والإسهام في التقدم العلمي وفي الفوائد التي تنجم عنه". وان "لكل شخص حق في حماية المصالح المعنوية والمادية المترتبة علي أي إنتاج علمي أو أدبي أو فني من صنعه".

هذه هي عناصر المادة (27) وهي المادة المنصبة كلها حول حقين متعلقين بالثقافة والإبداع هما حق تلقي الثقافة والاستمتاع بها، وحق إبداع الثقافة وحماية هذا الإبداع والحقان يندرجان تحت العنوان الاشمل لحق المشاركة الحرة في حياة المجتمع الثقافية. لذلك وتأسيسًا علي ما سبق يجب أن تكون النظرة جذرية لدور الدراما في نشر ثقافة حقوق الإنسان لان الدراما قبل أن تكون أداة أو وسيلة هي رؤية فنية ذات مضامين فلسفية واجتماعية وسياسية، كما أن ثقافة حقوق الإنسان قبل أن تكون صيغة للتعايش هي رؤية للحياة ذات مضامين فلسفية واجتماعية وسياسية وكلا الرؤيتين محكومتان بالطبيعة المجتمعية الموجودتان فيها في اللحظة التاريخية المعينة ومحكومتان بشروطهما الذاتية.

منطقيًا، لا يوجد مانع من موازنة الدراما بين تحقيق مكاسب مادية ومراعاتها قيمًا حقوقية، فلا تقتصر حقوق الإنسان على القوانين فحسب، بل يمكن للفن أن يعبر عنها أيضًا. وإذا كانت بعض المسلسلات تميل لاعتبار نفسها مجرد مساحات للتسلية، إلا أن انتشار مبدأ اعتبار الدراما التلفزيونية بعد تاريخها الطويل، مجرد وسيلة من وسائل الترفيه وغياب الدور الثقافي والاجتماعي والإنساني لها في إرساء مبادئ تمس الإنسان وحقوقه، أمر يضر بالعقل الجمعي المصري، الذي تُشكل الدراما جزءًا من وعيه منذ الستينيات حتى الآن، عبر مئات الأعمال الدرامية ذات الموضوعات والأشكال المختلفة، والشخصيات المؤثرة، والتفاصيل التي خرجت من الشاشة وصارت جزءًا من اللغة والتاريخ والمجتمع والوجدان العام.

تؤثر الدراما التلفزيونية في رمضان على وجه الخصوص، في القيم والأذواق بل والكلمات، فكثير من أعمالها تتحول إلى أحاديث بين الناس، وأفكار تتحرك في المجتمع يتداولها أشخاص كثيرون؛ بل يتسمى بعض الأطفال

بأسماء أبطال المسلسلات العربية، كما تنعكس ما تطرحه في أذواق الناس، ويُستخدم بعض الأبطال في الدراما الناجحة في عمليات الترويج السلعي والسياحى. حيث ينتزع الانتاج الدرامي من الحياة نماذج وصور محددة، ثم يعالجها، ويعيد طرحها بصورة تتسم بالتكرار القادر على إبراز التناقضات الاجتماعية، وفي كثير من الأحيان تبث الدراما قيمًا جديدة، أو تعيد تقديم القيم بصورة جديدة بعد إخضاعها لعملية فك وتركيب وحذف لمكونات وإضافة أخرى، ومن ثم فالمشهد في الدراما ليس عبثيًا، فالدراما ترسم من خلال أبطالها نماذج للاقتداء، راسمة حياتهم وإنجازهم، ومواطن التأسي فيهم.

-تأثيرات الدراما السلبية على حقوق الانسان:

-التنميط والخلافات الاسرية:

إن من أهم الإشكاليات التي ترافق إشباع الخبرة الاجتماعية التي تقوم بها الدراما التلفزيونية هي عملية صناعة صورة نمطية للمجتمع، لأن الدراما قد تعمد إلى رسم صورة غير واقعية عن اشخاص أو علاقات أو توجهات مجتمع ما بهدف رفع مستوى الجذب، ما يخلق نمطًا غير واقعي عن مجتمع بأكمله أمام المشاهدين. فمثلًا عندما تحرص الدراما المصرية على تكريس مشاهد الرفاهية المادية، فسوف تتحول هذه المشاهد إلى انطباعات ذهنية عن المجتمع المصري لدى الجمهور العربي، ويحتفظ بذلك كصورة نمطية ليس لها واقع. والسبب في ذلك هو أن غالبية المشاهدين يتعاملون مع الدراما بسذاجة، فيسمحون للأعمال الدرامية بأن تنشط دماغ الزواحف الموجود في رؤوسهم، فالمشاهد الساذج يتلقى الحقائق مثلما تعطى فهو متلق مغلق، فيأسره البعد الاسطوري الذي تنتجه الحبكة فينفعل بالأحداث، وعدم توفره على القدرة على فتح بنية النص يجعل منه سجين الأحداث الدرامية على انها الحقيقة بعينها، ولذلك نجد أن الأغلبية من الشباب يسقطون ما يشاهدونه على شاشة التلفزيون من حقائق المسلسلات على واقعهم المعيش، أما المتلقي العارف فيختلف عن سابقه فهو يتجه إلى البعد الاستراتيجي فيتناول النص من خلال بنيته.

وواحدة من نتائج عملية التنميط هذه على حقوق الانسان هو ظهور المشاكل الزوجية لدى بعض الأسر المصرية إثر انتشار الدراما التركية المدبلجة في العقد الأول من هذا القرن، فهذه الدراما قدمت زخمًا رومانسيًا مبالغًا فيه بالنسبة لعلاقة الرجل بالأنثى، وركزت على اللحظات المشبعة بالمشاعر الجياشة بين الحبيبين، وأهملت تجسيد الحياة اليومية الروتينية التي يعيشها الطرفان تحت سقف الزوجية في معظم الأوقات، ونتيجة لذلك يرتفع لدى الرجل أو المرأة مستوى التوقعات العاطفية التي ينتظرها من قرينه، وإذ لا يجد ما يلبي هذه التوقعات فان العلاقات

الزوجية ستكون معرضة للانهيار من قبل احدهما او كليهما. كما تركز هذه الاعمال الدرامية على ظهور فئة الانفصال داخل المنزل، وهى تعنى انفصال الزوجين ولكن بدون طلاق رسمي وذلك للمحافظة على المصالح الاقتصادية المشتركة أو خوفًا من الانتقاد الاجتماعى من حولهم أو مراعاة لمشاعر الأبناء ولكن كل تلك التفسيرات لهذا الوضع الزوجى لا تنكر أنه قد يؤدى إلى الخيانة الزوجية نظرًا لعدم إشباع الرغبات والحاجات لدى كل من الزوجين وبالتالي فإن هذا الوضح أضراره أكثر من نفعه، وللأسف فإن هذا الشكل أصبح منتشرًا في مجتمعنا المصرى نتيجة التأثر بمثل هذه المسلسلات التركية وغيرها.

بالإضافة إلى ارتفاع نسبة الزواج العرفى فى الدراما المصرية، والتي يجب العمل على الحد من إظهار هذه القضية في الدراما لأنها باتت مبررًا لدي البعض وسببًا لزيادة نسبة الزواج العرفي باعتباره واقع في المجتمع يجب القبول به. ويمكن القول إن استخدام العنف اللفظى أو البدنى من السلوكيات السلبية المرفوضة رفضًا تامًا سواء إن كان ذلك في إطار الدراما المقدمة أو في الواقع الفعلى لأنه يمثل إهانة للكرامة ويرسخ للمشاعر السلبية بين الزوجين ويزيد من المشكلات بينهما وقد يصل بهم الحال إلى الطلاق. كما أن عدم احترام أهل الطرف الآخر (الزوج / الزوجة) يثير مشاعر الكراهية والغضب داخل نفس الشريك لأن علاقة الإنسان بأهله تظل هي الأصل والتي يحافظ على عدم المساس بها من أى شخص وبالتالي فإن اظهار الكراهية وعدم الاحترام مع الأهل ينعكس سلبًا على العلاقة الزوجية.

-إشاعة السخرية من ذوي العاهات والفقراء:

كثيرًا ما يستغل صانعوا الدراما التلفزيونية الأشخاص ذوي العاهات البدنية مثل قصار القامة أو البدينين أو المتأخرين عقليًا أو المعدمين لتجعل منهم مادة للتندر وإضحاك الجمهور، وهذا الأمر يشجع الناس على إتباع سلوك جمعى خطير في التعامل مع هذه الشريحة في الحياة الحقيقية، فيصبح من الطبيعي أن يكون ذوي العاهات أو الفقراء محلًا للسخرية واستثارة الضحك، وفي هذا الحال امتهان واضح لكرامة الإنسان، ويمنع مثل هؤلاء الأشخاص من التحول إلى أعضاء ايجابيين نافعين لمجتمعهم، وقد يدفعهم ذلك إلى الاكتئاب أو التطرف وما يترتب عليه من نتائج خطيرة.

من جانب آخر فان الدراما التلفزيونية كثيرًا ما تظهر أهل الفقر والعوز والضعف البدني في ادوار ثانوية تجسد فيهم الضعف والمسكنة والمهانة والعيش على هامش الحياة، وفي المقابل تدفع أصحاب الأموال والنفوذ وذوي القدرة البدنية إلى صدارة الأحداث والبطولة، وهذه الرسائل المضمنة مكررة بشكل إشكالي، إذ تغرس في المخيال

الائتلاف المصري لحقوق الإنسان والتنمية

المجتمعي بالتراكم السخرية تقديرًا لا شعوريًا للمال والأغنياء والأقوياء واحتقارًا للفقراء والضعفاء مهما كانت توجهاتهم، ولذلك ارتدادات ثقافية وسلوكية خطيرة على المجتمع.

-تشويه صورة المرأة ودورها الاجتماعي:

تعد الدراما بمختلف انواعها مصدرًا رئيسيًا لإنتاج واعادة إنتاج صورة المرأة وتنميطها في اذهان الناس، من خلال قدرتها البالغة على استقطاب الجمهور وانتشارها الواسع وجاذبيتها واستيلائها على اوقات الناس، وما يجعلها تتصدر القنوات التي تهم في تكوين الصورة القائمة على المرأة او تدعيمها هو قدرتها على تشكيل المعنى ونقله وذلك عبر طرق تنظيمها للعلاقات البصرية واللفظية. وهي بذلك تعد احد مصادر الثقافة والقاعدة التي تبنى عليها الجماعات الإنسانية الذهنية من معان وممارسات او قيم كما تقوم بتجهيز الصور والافكار التي يتشكل حولها الرؤية الاجتماعية، ويتمثل تأثيرها ايضًا في انها تخلق نوعًا من البيئة الصورية بين الأنسان والعالم الموضوعي الحقيقي، وتوفر للإنسان الحديث واقعًا بديلًا يفكر ويتصرف ويسلك من خلاله ويصبح له بديلًا عن الواقع الحقيقي. ومن الامور الاخرى التي لها أهمية كبيرة في صناعة الصورة هو قدرتها على توفير رصيد كبير من الخبرات والتجارب عن اشخاص ومجتمعات واشياء تؤثر في اهتمامنا ويعمل سيل المعلومات المتدفق على خلق الصور وهذه تصبح مرشحًا نفسيًا تتم من خلاله رؤية الواقع وتفسيره.

ويرى بعض الباحثين ان الدراما هي صورة مصغرة عن المجتمع وعن توزيع القوى فيه، وتعمل في ظل ايديولوجيا معينة هي ايديولوجية مالكيها تتغذى منها وتغذيها، وتعكس القيم والعادات، فهي حاملة لثقافته لذلك يمكن القول بأن الصورة المقدمة للمرأة في الدراما هي امتداد لصورتها في الموروث الثقافي غير ان هناك فريقًا آخر من الباحثين يرون ان دور الدراما لا يتوقف على دعم ما هو قائم او اداة لتوصيل الايديولوجيا بل انها يمكن ان تولد ثقافة معينة وترسم الايديولوجيا، إذ يرى الباحثون ان الخطاب الاعلامي يسهم في توليد الثقافة العامة وذلك عندما يغلق الدائرة ويعود ولو تراكميًا وعبر عملية مستمرة وممتدة بحيث تصبح وسائل.

ومن أكبر مخاطر الدراما التلفزيونية هي إنها تشوه صورة المرأة في الثقافة المجتمعية، حيث أن الدراما غالبًا ما تقلل من شأن المرأة باظهرها في أدوار تقليدية، سواء في إطار الاسرة بانها الزوجة المطيعة أو الأم الملتزمة او ربة المنزل الوفية، وفي المقابل تسند أدوار البطولة والنجاح للمرأة ذات الوظيفة أو المهنة أو المغامرة والمقاتلة الجسورة أو المغرية اللعوبة أو العاشقة خارج إطار العلاقة الزوجية، فهذه الصور هي التي تحتل صدارة الدراما الرائجة وتكون محورًا للأحداث الدرامية غالبًا. أما خارج إطار الاسرة تصور الدراما العمل دائمًا مسألة ثانوية

للمرأة ويأتي بعد اهتمامها بالموضة والتجميل والمظهر. إن هذه الصور جعلت الذوق الاجتماعي يميل بالتدريج نحو التقليل من شأن المرأة عندما تكون ربة بيت أو زوجة صالحة أو أمًا عطوفة، مما يدفع الشابات بشكل خاص إلى رفض الدخول إلى عش الزوجية قبل حصولهن على وظيفة أو جذب الأضواء من خلال الإعلام، وحتى عندما تتزوج وتنجب أطفالًا فإنها تصر على مواصلة عملها خارج المنزل والحفاظ على معايير جاذبيتها المعنوية مثل اللقب الجامعي أو النشاط الإعلامي، وذلك يكون مقدمًا على أداء واجباتها كزوجة وكأم تربي أبناءها وتلبي احتياجاتهم النفسية والمادية. وعلى ضوء ذلك نجد ازدهارًا في عمل جليسات الأطفال ودور الحضانة يومًا بعد يوم، وما يستبع ذلك من تخلخل في متانة الروابط التي تجمع افراد العائلة، كجفاف العلاقة مع الزوج، ونقص الاشباع العاطفي لدى الأبناء الذي لا يمكن أن تشبعه غير الأم.

وتظهر بعض الاعمال الدرامية المرأة وهي تستخدم جاذبيتها لتحقيق الاهداف وأكتساب القوة وليس الاعتماد على الكفاءة والقدرات الشخصية .كما تعكس الدراما اهتمامًا متفاوتًا بقضايا المرأة حيث تركز على المرأة في المدينة وتهمل المرأة الريفية وكذلك التركيز على شريحة النساء الشابات واهمال قضايا ومشكلات المرأة في الفئات العمرية الاخرى.

ومن النماذج الدرامية التي تناولت قضية تعدد الزوجات في رمضان 2023 بشكل سلبي وفيه اهانه للمرأة، مسلسل جعفر العمدة الذي عرض قضية تعدد الزوجات، حيث قدم النموذج السيئ للدراما الاجتماعية، رغم تحقيقه نسبة مشاهدة عالية، وذلك لاعتماده على الخلطة الدرامية، كتلك التي خلعت زوجها دون علمه وتزوجت من آخر فيراها الزوج المخلوع في فرحها ويتفاجأ بأنها كانت تعيش معه في الحرام، وكذلك جعفر العمدة المتزوج من 4 يعشن جميعهن في بيت واحد، والغريب أن الزوجات الثلاث غاضبات لزواجه من رابعة. فإن المسلسل به خلل للمبررات الدرامية، كذلك في تعامله مع الزوجات فيه إهانة للمرأة، وكذلك تعامل أمه مع الزوجات فيه إهانة وعنف، أيضًا فالصفع على الوجه ضد حقوق الإنسان.

-انتشار العنف:

يبدو خطاب العنف في الدراما غير منفصل الجذور عن الامتدادات الفكرية والثقافية والنفسية التي اسهمت في بلورة الاتجاه العنفي وتضمينه في بنية الدراما منذ بدايات فن الصورة المتحركة، فيرى المختصون في القنوات السينمائية ان من اقدم الافلام السينمائية وأكثرها تجديدًا لحيويتها هي افلام الجريمة لأن هذه الأفلام تستقي جاذبيتها الجماهيرية من مصادر متعددة فكثيرًا ما تقع تحت القصة السطحية مباشرة ابعاد اسطورية ونلاحظ ان

نوعية الفيلم تدل على الموجات المتعاقبة لكل نوع من أنواع الأفلام على الفترة التي ظهرت فيها، فأنها تعكس التطور في المناخ السياسي والاجتماعي في الدولة ولهذا فأن افلام الثلاثينيات تعكس الأزمة الاقتصادية. وبمقتضى ذلك يصبح ظهور شخصيات العنف في الدراما مقرونًا بتطور المناخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي او نتيجة لعوامل فكرية ايديولوجية كظهور شخصيات العنف المرتبطة بالإرهاب.

اما الانماط السردية لموضوعات العنف في الفيلم السينمائي فيمكن تحديده في انواع افلام العنف والجريمة، ولعل صيغة افلام العصابات والخارجين على القانون احدى الصيغ السردية المتصفة في افلام العنف التي شغلت مساحة واسعة وخاصة في السينما الامريكية التي تعتبر نموذجًا في تأمل موضوع العنف والجريمة على امتداد مساحة زمنية تتجاوز المائة عام وهو عمر الفن السينمائي بشكل عام الذي انطلقت أولى افلامه البسيطة في تناول موضوعات العنف والجريمة. خلال العقد الماضي، باتت الدراما المصرية تطرح قصصًا مختلفة تدور بين موضوعات لها علاقة بالخيانة الزوجية والاغتصاب والمخدرات والشذوذ والبلطجة، وكلها مواضيع تعرض الكثير من مشاهد العنف.

بدأت أحداث العنف التي تشهدها العديد من دول العالم، ومنها بعض دول الشرق الأوسط، والتي يتشابه بعضها، بدرجة كبيرة تصل، في بعض الأحيان، إلى حد التطابق مع عدد من المشاهد الدرامية المحلية والعالمية، تطرح جدلًا مجتمعيًا وفنيًا واسعًا داخل تلك الدول حول مدى تأثير الدراما على ظاهرة العنف، اللفظي والجسدي، داخل المجتمعات وأسباب تفاقم هذه الظاهرة خلال الفترة الأخيرة.

فقد شهدت دول عديدة بالمنطقة تقليدًا لبعض أحداث العنف التي تضمنتها الدراما التي تعرض على شاشات بعض وسائل الإعلام، سواء كانت دراما محلية أو عالمية، بشكل بات يثير استياءً واضحًا بسبب تدني مستوى المحتوى الدرامي، وسعى القائمين على إنتاج هذا النوع من الدراما إلى تحقيق أرباح سريعة، بدعوى أن هذه الأعمال ذات جماهيرية عالية، وشعبيتها في بعض المجتمعات تفوق الحملات التي يشنها النقاد والمثقفون ضدها. وبعبارة أخرى، فإن تعمد منتجي هذه النوعية من الدراما تسليط الأضواء على القضايا ذات الطابع الجنائي، على غرار الاتجار بالمخدرات والإدمان وتهريب الأسلحة والخروج على القانون وعلى تضمين تلك الأعمال أكبر قدر من مشاهد العنف الجسدي واللفظي، يهدف إلى استقطاب بعض الفئات الاجتماعية، لاسيما الشباب والأطفال، لمشاهدة تلك الأعمال، بالتوازي مع عدم الاهتمام بالقضايا الاجتماعية والثقافية التي يمكن أن تساعد في تنمية الوعي المجتمعي والأخلاقي لدى تلك الفئات.

الأفاق المصري لحقوق الإنسان والتنمية

فجاءت ظاهرة البلطجة الشعبية كنوع انتشر كثيراً على الشاشة، ويبدو أن العنف الذي يمارسه بطل المسلسل في كثير من الأحيان ينظر إليه بوصفه علامة على القوة والشجاعة، لكن الخطورة أن ذلك أمر يحث الناس على الشعور بالفخر واتخاذ هؤلاء الأبطال كقدوة لهم، وأصبح الإقدام على العنف هو الحل الأول لأي مشكلة يومية، وأصبح الشارع المصري ساحة لأعمال البلطجة وترويع المواطنين. وبينما تُعد حادثة تقليد مشهد في أحد المسلسلات المصرية بإحدى المحافظات المصرية عرض في منتصف عام 2016، نموذجًا صارخًا لتأثير الدراما على مستوى العنف المجتمعي، حيث أجبر مواطنون رجلًا على ارتداء ملابس نسائية، وتصوير مقطع فيديو له، ونشره على مواقع التواصل الاجتماعي بسبب خلافات شخصية.

وبسبب ان الدراما التلفزيونية شهدت خلال العقد الأخير إزدياد في أعداد المشاهد التي تقدم العنف والدم والمخدرات، وتصور الخروج على القانون بطولة وتمجد في أبطال هذة الشخصيات، حيث أن المسلسلات والأفلام الدرامية تعطى الشخص الشرير أو العنيف كافة المميزات وفى كثير من الأحيان يكون هو بطل العمل الدرامي. ادى ذلك إلى إزدياد المشاجرات، وانتشار ظاهرة العنف الجسدى والسلوك العدواني والبلطجة، وانتشار ظاهرة العنف اللفظي وإنتشار الألفاظ البذيئة فى المجتمع، حيث نجد أن الدراما التلفزيونية تضخ في عقول افراد المجتمع بذور العنف والفتنة بشكل مستمر يدفعهم إلي إستخدام العنف بديلًا عن الحوار. وينعكس ذلك على إدراك الافراد للعنف مما ينعكس بدورة على ظاهرة البلطجة المنتشرة في العديد من الأعمال الدرامية التلفزيونية. حيث تقدم الدراما التلفزيونية البلطجى بأنه ضحية مجتمعه، وبأنه لجأ للعنف والقتل من أجل بعض الأسباب الواهية، وتقدم نماذج يعتبرها افراد المجتمع قدوة ومثلًا أعلى لهم فى البلطجة والموضة والقيم السطحية وهذا يعزز أن مفهوم الإعلام مستفزًا للفكر، هذه الصفات جعلت وسائل الإعلام في أي دولة هي الهيئة الأكبر نفوذًا في المجتمع فمعظم الأعمال الدرامية ترفع من صفة العنف والتصرفات السلبية الكثيرة في تناول القضايا الأجتماعية، مما زاد من الجانب اللا أخلاقي لدى شريحة كبيرة من افراد المجتمع. كما ان الدراما التلفزيونية ساهمت فى ترسيخ فكرة أخذ الحق بالقوة دون اللجوء الي القانون بين الشباب، وهو مايمثل خطورة كبيرة على أمن الفرد والمجتمع على حد سواء، فإبراز الأعمال الدرامية للجوانب السلبية والحالات الفردية المسيئة والتي تظهر في صورة البلطجى، حتى ولو ظهرت البلطجة في صورة أخذ الحق للضعيف من القوى، فهناك مؤسسات هى المنوط بها تطبيق القانون داخل المجتمعات. وتحذر بعض التقارير من أن التعرض للعنف المصور يمكن أن يتسبب إما في زيادة الحساسية حيث نصبح أكثر حساسية وتشاؤمًا أو يمكن أن يؤدي إلى إزالة الحساسية

مما يجعلنا في الواقع مخدرين لتأثيرات العنف، ولوحظ هذا أيضًا لدى أولئك الذين تعرضوا مرارًا وتكرارًا لألعاب الفيديو العنيفة.

- **تأثير مشاهد العنف فى الدراما على الاطفال:**

قدمت أعمال الدراما خلال السنوات الماضية، نماذج عدة لأشخاص يمارسون العنف أو يقعون ضحية له، بشكل دفع بعض الأطفال والمراهقين إلى محاولة تقليدهم، فانتشرت حوادث الانتحار لأطفال أفاد ذووهم بأنهم كانوا يحاولون تقليد أبطال بعض المسلسلات. وقد أجريت دراسات عديدة أشارت إلى أن هناك علاقة طردية بين تعرض الأطفال تحديدًا لمشاهد العنف في الأعمال الدرامية وبين سلوكياتهم الاجتماعية، التي تتسم بطابع عنيف في بعض الأحيان.

كما ان أكثر الشرائح تضررًا من سلبيات الدراما التلفزيونية هم الاطفال ذلك لان التلفزيون بطبيعته جهاز عائلي، يجتمع حوله افراد العائلة للمشاهدة الجماعية، ولا شك في أن متابعة الكبار للدراما من خلاله سوف تتسلل الى ابنائهم ايضًا. وحيث ان الاطفال يسيرون على طريق تشكل الشخصية وجمع الخبرات، فانهم سيتفاعلون بإيجابية شديدة مع المضامين والسلوكيات التي يشاهدونها عبر الدراما بالذات، لان الطفل لا يميز بين الخيال والواقع، وما يشاهده ينطبع في مخيلته حول ما ينبغي ان تكون عليه الحياة الحقيقية.

ومع تقصير كثير من الآباء في اختيار نوعية الدراما التي يتابعونها من جهة، وغفلتهم عن مشاركة الافكار السلبية والايجابية حول هذه الدراما مع ابنائهم من جهة اخرى فان الاطفال سيكونون أول المتضررين من التعرض للسلوكيات والمفاهيم الخطيرة التي تقدمها الدراما هذه الأيام، كالجنس والالفاظ البذيئة والاستهلاكية. حيث ان الأطفال يقضون معظم الوقت أمام التلفزيون في مشاهدة البرامج التي أعدت خصيصًا للكبار وغالبًا ما تكون مليئة بالمشاهد والمواقف التي تتميز بالصراع العاطفي، ويظن بعض علماء النفس أن استمرار مشاهدة الطفل مثل هذه البرامج يحدث انطباعات عميقة من حياة الكبار على تفكيره ويدفع به إلى حالة من النضج سابقة للأوان، من صفاتها الملحوظة الحيرة وعدم الثقة بالكبار والاهتمام بمشكلاتهم اهتمامًا سطحيًا، وقد يصل الأمر بالطفل إلى عدم الرغبة في اللهو ليكون كبيرًا، إن الأطفال في مراحلهم الأولى كثيرًا ما يلتمسون النصح والمشورة عند الكبار فيما يخص مواقف يشاهدونها ضمن برامج التلفزيون، لكنهم يفاجؤون بعجزهم عن تقديم المعونة المطلوبة، ومثل هذا العجز من جانب الكبار يكون له في نفس الطفل أثر عميق من أثر الصورة غير الواضحة لحياة الكبار التي يراها الطفل في مشاهدة التلفزيون.

وعلى صعيد ترويج العنف بين الناشئة؛ نلحظ رواجًا متزايدًا لسلاسل ومسلسلات عربية وأجنبية قائمة على احترام القوة البدنية ولغة السلاح، انها الدراما التي يلجأ فيها البطل إلى قوته الجسدية ومهارته في القتال من اجل استعادة حقه او قهر من يناوئه، وهي دراما ترسخ لدى الاطفال والشباب فكرة أن القوة البدنية والسلوك المتهور يمكن ان يحقق العدالة أفضل بكثير مما تفعله القوانين والانظمة وحسن التصرف، بمعنى آخر إنها تروج لشريعة الغاب بين الناشئة من حيث لا يشعرون. وتؤكد نتائج الكثير من الدراسات والأبحاث باللغتين العربية والإنجليزية أن ظاهرة تزايد معدلات العنف في الدراما تؤدي إلى إحداث تشوهات نفسية لدى الأطفال الصغار، وإلى إصابتهم باضطرابات سلوكية، كما أنها تحدث تزايدًا في النزاعات السلوكية العنيفة لدى المراهقين والشباب، نتيجة ميلهم إلى التقليد والمحاكاة، ويؤيد ذلك العديد من الشواهد التي تربط بين التعرض لمشاهد العنف في الدراما، وكثير من الممارسات الإجرامية كحوادث البلطجة والسرقات والاغتصاب.

إن عقل الطفل يستوعب ولا ينسى ما يراه أو ما يشاهده، ويتطبع بالذي أمامه ويتأثر سريعًا، ويري ما يشاهده ويتخذه قدوة، ولذلك فإن الدراما التلفزيونية، تعد سلاحًا ذو حدين، فإن ما تقدمه له هو ما يتطبع عليه، فلا يحق لنا أن نستغرب من أطفال وشباب اليوم، هذا ما قدم لهم، وزرع فيهم من البداية، أصبح الطفل أو الشاب يشاهد البطل يقتل ولا يكترث، ويتاجر في الممنوعات ولا يبالي، وكأن شيئًا لم يكن، فبدأ يشجع البطل ويتعاطف معه بل ويقلده، فأصبح الأمر عاديًا ومع التكرار أصبح طبيعيًا، وكأن تلك هي عادتنا وتقاليدنا. وأصبح بعض الأطفال ينادون بعضهم بالالماني والأسطورة واللمبي، بل وشبابًا أيضًا، وأحيانا يقلد أحدهم خنق صديقه على سبيل المزاح متأثرًا بما رأه في تلك الشاشة، وأصل هذه الظاهرة يرجع إلى الاب والام وعدم التحفظ على أبنائهم من مثل تلك المشاهدات، وعدم توجيههم توجيهًا صحيحًا يليق بأب يريد أن يري ولده شخصًا ناجحًا في المستقبل. فان الدراما مسؤولة تمام المسؤولية عن فساد جيل بأكمله، لما تعرضه من عنف وتطرف وبلطجة وإباحيه وكأنهم يتعمدون فساد جيل بأكمله، وعلى المجتمع أن يساهم في منع هذه الظاهرة، كل حسب ما يقدر عليه فعلي الجهات المسؤولة تشديد الرقابة على القنوات التي تعرض أو تنتج مثل هذه الأعمال وفرض قوانين وعقوبات صارمة على من يفعل ذلك، وعلى الآباء مراقبة أبنائهم وعدم تركهم بالساعات أمام الشاشات، وأن يكون هناك حد لذلك. ولكننا لا نستطيع أن نقول إن الدراما تقوم بتغيير سلوك أو تغيير أخلاق بشكل مباشر، ولكن خطورتها أنها تعطي صورة قابلة للمحاكاة في الواقع، يتأثر بها الأطفال الذين يميلون إلى التقليد، خاصة عندما يكون البطل محبوبًا، فيقلدون سلوكه وطريقة كلامه ويرددون ألفاظه، ومسلسلات العنف لها تأثير سلبي خطر على المراهقين الأكثر تأثرًا بتلك النماذج السلبية، خاصة عندما لا يجدون قيمًا إيجابية مناهضة لمنظومة القيم السلبية

التي تفرضها عليهم الدراما العنيفة التي تهدم ما تبنيه الأسرة والمدرسة. حيث ان تلك الأعمال يغلب عليها الطابع التجاري، ويهدف منها الفنان إلى الشهرة والمال، وقد يكون بداخله عنف ويقدم تلك الأدوار دون حساب للقيمة والرسالة، معتمدًا مبدأ الغاية تبرر الوسيلة. فمن الخطر أن تقدم الدراما العنف على أنه قاعدة والبلطجة على أنها بديل للقانون؛ لأن في ذلك رسالة سلبية تؤثر على عقول الأطفال والشباب الصغير تحديدًا. ولا يمكن إنكار وجود العنف في المجتمع بين الجيران وفي المدرسة والشارع، وربما في الأسرة الواحدة؛ لكن يجب ألا ترسخ الدراما هذا الاتجاه، فدور الإعلام بصفة عامة والدراما تحديدًا هو التوعية وتقوية السلوك الأخلاقي، وعلى الفنان أن يعي قيمة ما يقدمه فيختار النماذج الإيجابية التي تبني وترتقي بالمجتمع.

- **تأثير العنف فى الدراما على انتشار العنف ضد المرأة فى المجتمع:**

احتوت بعض الأعمال الدرامية على كم كبير من مشاهد العنف ضد بعض الفئات المجتمعية، وهو ما بدأت اتجاهات عديدة في التحذير منه، على غرار لجنة رصد دراما رمضان التي شكلتها لجنة الإعلام بالمجلس القومي للمرأة في مصر، والتي أصدرت تقريرًا، في يوليو 2016، كشفت فيه أن المرأة تعرضت في المسلسلات التي عرضت في ذلك الشهر إلى نحو 1607 مشاهد للعنف.

إن الدراما السينمائية كرست للعنف ضد المرأة بكافة أنماطه وأشكاله وأنواعه سواء أكان مادي أو معنوي، اسري أو مؤسسي أو مجتمعي ضد المرأة أو ضد الفتاة، كما أظهرت عنف المرأة كرد فعل للعنف والقهر الواقع عليها ومن خلال الدراما المقدمة خلال الفترات التاريخية المختلفة أظهرت جميع أشكال العنف ومن أهمها الضرب، السخرية والإهانة، والسب، والإكراه، والتهديد، والتحرش الجنسي، والتعذيب، والقتل أو محاولات القتل. كما ظهر عنف المرأة متمثلًا في ممارسة البغاء، والقتل، والكيد.

التأثير الايجابى للدراما على حقوق الانسان:

بالرغم من الجوانب السلبية لكن الدراما التلفزيزنية نجحت في كثير من الاعمال في طرح قيم حقوق الانسان بشكل مشرف وساهمت في تدعيمها سواء في مجال حرية التعبير أو حق الانسان في الحياة والعمل وفي طرح انتهاكات حقوق المرأة المعاصرة والتوعية بقيمة حقوق الانسان، والتأكيد على المساواة ورفض التميز بسبب الجنس او الدين أو الطائفة أو المعتقد السياسي ودعم الوحدة الوطنية للمواطنين بغض النظر عن اختلافاتهم.

الائتلاف المصري لحقوق الإنسان والتنمية

-التأثير الايجابى في الحفاظ على الهوية الوطنية ومن ثم الرقى إلى مستوى الأمن القومي المصري:

لأن الأمن القومي يتمتع بعدد من العناصر المكونة له، والتي عند الوفاء بها على حدة، فإنها توفر الأمن للدولة فيما يتعلق بقيمها ومصالحها وحرية اختيار السياسات بها، وتسرد السلطات على اختلافها هذه العناصر بصورة متباينة، ويتم بشكل شائع أيضًا إدراج الجوانب المتعلقة بالسياسة والمجتمع والبيئة والطاقة والموارد الطبيعية والاقتصاد، وترتبط عناصر الأمن القومي ارتباطًا وثيقًا بمفهوم عناصر القوة الوطنية والتي تلعب القوى الناعمة ومن بينها الدراما التليفزيونية فيها دورًا كبيرًا، لأنها تخاطب المشاعر وتركز على القيم وتقدم نماذج مثالية في الفداء من أجل الوطن. كما في حالة القوة الوطنية، يكون الجانب الأمنى هو المهم، ولكنه في الوقت نفسه ليس المكون الوحيد للأمن القومي، وحتى يتحقق الأمن الحقيقي، تحتاج الأمة إلى أشكال أخرى من الأمن الذي تصنعه الدراما على جناح سحر الصورة ومن هنا تختلف السلطات وفقًا لخيارات كل منها في تحديد عناصر الأمن القومي للدولة، فعلى مدار سنوات، كان هناك نقد متكرر لاذع لأشكال من الدراما المقدمة، وكانت فى المشهد أيضًا أعمالًا جيدة الصنع، يعول عليها فى حفظ صورة الدراما المصرية وضمان قوة تأثيرها، محققة جانبًا من جوانب الارتقاء بالذوق العام، وتسليط الضوء على المجتمع بالعلاج والإصلاح، وتقديم قدوة جيدة، لنفهم أن المسلسلات تحديدًا باعتبارها الأطول مشاهدة من أدوات الحفاظ على الأمن الثقافي والاجتماعي والفكري.

وتلعب الدراما دورًا مهمًا في تحصين المجتمع، ليصبح بها العمل الناجح بمعايير تعزيز الهوية المصرية تنقية للفكر العام من شوائب الفساد والإفساد، ومواجهة للأفكار المدمرة والموجهة للدولة بكل مكوناتها، كرصاص مغموس بالسيانيد إن لم يقتل بالخرق يقتل بالسم، وصولًا للحفاظ على الأمن والسلم العام الداخلى، لذا فهى تعتبر واحدة من من أدوات الأمن القومى المصرى حاليًا، ومما سبق، سنجد هذه المقومات قد تطابقت مع بعض الأعمال الدرامية فى تاريخنا، مثل الأشهر والأبرز مسلسل (رأفت الهجان)، الذى استلهم منه العالم العربى وليس المصريين فقط روح البطولات الحقيقية، وأثار الغيظ والغل فى نفوس العدو وقتها. وعلى مستوى الصناعة فقد أصبحت تفاصيل (رأفت الهجان) بما فيها موسيقاه، كلاسيكية وأيقونة للمصرية والوطنية، فكان ولا يزال له تأثيره على المواطن وانتمائه.

-التأثير الإيجابي على حقوق المرأة والطفل والخلافات الزوجية:

قدمت الدراما الرمضانية المصرية لعام 2023 خريطة متنوعة، تناسب وتستوعب مختلف الأذواق والفئات العمرية فى المجتمع المصرى، لنجد أنفسنا أمام توليفة درامية مزجت عناصرها بدقة، ورسمت خطوطها العريضة وفق استراتيجية واضحة تقدم محتوى هادف. وتم تقديم أعمال كارتونية موجهة للأطفال بمختلف فئاتهم، حيث لم يتم التغافل في ذلك عن الأطفال من الصم والبكم بتقديم لغة الإشارة على الشاشة من خلال مسلسل يحيى وكنوز 2، لتكون وسيلة نحو ترسيخ الهوية الثقافية وبناء عقول النشء بالفكر الإيجابي والهادف، وتجسيد قضايا المرأة والعنف ضدها، كان لها نصيب أيضا لتنقل معاناتها وما تتعرض له من محاولات لانتهاك حقوقها.

أن الدراما في ذلك تتكامل مع دور الدولة في نشر الوعي وتغيير الفكر حول الموروثات البالية وحمايتها من جرائم تنتهك كرامتها وتوسيع دائرة تمكين المرأة، وظهر ذلك واضحًا في أكثر من عمل تناول ملف قانون الوصاية بعد وفاة الأب أو الزوج، والزواج المبكر فضلًا عن منع المرأة الصعيدية من الميراث، وهو ما يجعل تلك الأعمال أداة مهمة في تغيير ثقافة المجتمع بمناهضة ذلك الفكر بلغة بسيطة ووسيلة تصل لكل بيت مصري من خلال الشاشة الصغيرة. فبعد أن جاء مسلسل قضية رأي عام في رمضان 2007 راقيًا في معالجة قضية أغتصاب المرأة وتناول بطريق درامية ممتازة القضية من جميع الجوانب هذه القضية الحساسة وأثرت بشكل كبير على قطاعات واسعة من الناس في التعاطف مع ضحايا الاغتصاب وحث النساء على مقاومة الاعتداء عليهن والاستعانة بالقانون للقصاص من الجناة، واثار مسلسل لعبة نيوتن قبل عامين قضية الطلاق الشفهي وتأثيره الصادم في حياة الطرفين لا سيما المرأة، ثم ناقش مسلسل فاتن أمل حربي في موسم رمضان 2022 قضايا عدة مرتبطة بتداعيات الطلاق على الزوجة فيما يتعلق بحق الأم في الولاية التعليمية والنفقة، وقبلها العنف الزوجي، عاد صناع الدراما هذا العام بعدد آخر من القضايا، حيث بدا وكأن المشاهد يتابع قصة تجري فصولها في محكمة الأسرة، أو كأن تلك الأعمال بمثابة رسالة للمعنيين بالأمر تحثهم على ضرورة إنجاز قانون الأحوال الشخصية الجديد المنتظر إقراره منذ مدة. كان العنوان العريض لمسلسلات مصرية في موسم دراما رمضان 2023 هو مناقشة قضايا المرأة، والقوانين والأعراف التي تحكم تعامل الأهل والمقربين معها.

وقد يكون مسلسل عملة نادرة من أكثر الأعمال التي حظيت باهتمام فيما يتعلق بإثارته قضايا شائكة لا سيما في صعيد مصر، حيث تدور الأحداث حول امرأة يتوفى زوجها ويترك لها طفلًا، ومساحة شاسعة من الأراضي، وهنا تواجه عائلته شديدة التحكم والتقليدية التي ترفض منحها وطفلها الميراث المستحق بحجة أن النساء لا يرثن

الأرض التي هي حكر على الرجال وإنما يمكن تعويضهن ماليًا، لكن البطلة تصر على حقها الشرعي والقانوني، وهنا تتفجر الأحداث المليئة بالإصرار من جهة، وأيضًا بممارسة القهر والظلم من جهة أخرى. فقد جسد المسلسل شخصية المرأة الصعيدية القوية التي تحاول الحفاظ على ميراثها وميراث ابنها، وتخوض صراعًا شرسًا وترفض الاستسلام لحرمانها توريث الأرض، وتخوض حربًا من أجل الحصول على حقوق ابنها من أهل زوجها بعد وفاته.

اللافت أن أزمة الميراث تواجهها أيضًا بطلة مسلسل 1000 حمد الله ع السلامة حيث تعود البطلة من الخارج لتجد أقارب زوجها الراحل وقد استولوا على شقتها التي ورثتها منه، وتدخل صراعاً من أجل إثبات حقها. كما تم مناقشة قضية استحلال ميراث النساء بغير وجه حق أيضًا من خلال مسلسل ستهم، فبعد وفاة الزوج يرفض شقيق البطلة إعطاءها حقها في ميراثها بزعم أن السيدات لا يرثن في عرفهن، وعلى رغم أنها تعيش حياة شبه معدمة لإعالتها الأطفال بمفردها، لكنها تذهب للعمل بأقسى المهن بل تتنكر في زي رجالي وتحاول الصمود؛ كي تتمكن من العمل لرعاية أبنائها، وسط رفض الأسرة الأمر، شكلًا ومضمونًا، فتتحول إلى رجل وترتدي ثوب الرجال. وتناول مسلسل سره الباتع قضية مهمة، فعند احتلال نابليون لقرية شطانوف عُين بها قائد فرنسي دموي يقتل الفلاحين، وعند أسره من قبل الفلاحين ليقتلوه، رفض شيخ المسجد لأنه أسير وله حق الحماية، وهنا نرى أن المسلسل ناقش قضية مهمة جدًا وهي حقوق الأسرى المهدرة في كافة أنحاء العالم، فكان من الإيجابي عرض المسلسل لها، فلا يجوز تعذيب الأسير أو تجويعه أو قتله.

كما ناقش ايضًا مسلسل تحت الوصاية الذي عرض بداية من النصف الثاني من الشهر قضية مهمة أيضًا تخص النساء وهى قانون الوصاية الذي تعاني منه النساء بعد وفاة الأب أو الزوج، حيث تؤدي بطلته دور شخصية أرملة ليس لها مصدر دخل يعيل طفليها، وتجد نفسها في مواجهة عائلة زوجها الراحل وبينهم شقيقه الذي يحاول الاستيلاء على ما تركه، متحججاً بأن الأولاد تحت وصايتهم، وفقاً لقرار المجلس الحسبي، لكنها تحاول أن تقاوم الظروف وأن تعمل بنفسها على مركب الصيد مثل زوجها لتوفير الرزق للصغار. وعلى إثر تناول الأزمة في المسلسل وتأثر المجتمع بها، تقدم بعض النواب بطلب إحاطة إلى رئيس مجلس النواب وموجه إلى وزير العدل حول ملف الوصاية على المال الخاص بالقصر، لمراجعة تأثير قانون الوصاية على السيدات. وطالبوا بتشكيل لجنة لبحث ومواجهة الأثر التشريعي لقانون عمره 70 عامًا، وطلبوا من وزير العدل اطلاع البرلمان على الموضوع.

وتناول مسلسل علاقة مشروعة أزمة الزواج الثاني، فالبطل ينعم بحياة موازية بخلاف حياته المعلنة مع زوجته الأولى التي لا تعلم شيئاً عن زيجته الثانية، وبحسب مشروع القانون فإنه من الملزم أن يخبر الأولى وإلا يعاقب بالحبس والغرامة، كما تدور مسلسلات أخرى مثل مذكرات زوج وكامل العدد والهرشة السابعة في نفس الفلك المتعلق بالأزمات الزوجية وكيفية التعامل معها، مع اختلاف المعالجة بالطبع. أما مسلسل حضرة العمدة فيمتلئ بقضايا عدة مثيرة للجدل، بينها الهجرة غير الشرعية وزواج القاصرات، وكذلك أزمة المعلم المتزمت الذي يفرض على الفتيات الصغيرات غير المسلمات ارتداء الحجاب داخل المدرسة، وهي مشكلات تثار بشكل متكرر في المجتمع، حيث إنها تحاكي تمامًا ما يحدث في الحياة، ويركز العمل على قضية تمكين المرأة من الوصول إلى مراتب قيادية، حيث يتحدث عن عمدة امرأة ترشحت لمنصب العمودية في بلدها كي لا يخرج ميراث العمودية من عائلتها، تقود قرية وتواجه بشجاعة الفساد المستشري فيما يتعلق بالتعامل مع النساء. وليس هذا المسلسل الوحيد الذي ناقش قضية تمكين المرأة ولكن هناك ايضًا مسلسل جميلة، الذي تقوم بطلته بدور امراءة تعمل في النيابة الإدارية وتحارب الفساد لتثبت أن المرأة لا تختلف عن الرجال في هذا النوع من المناصب. ويحاول صانعو العمل أن يبرهنوا كيف يمكن للمرأة أن تجمع بين رغبتها في تحقيق نجاح مهني، جنبا إلى جنب مع حياتها الزوجية.

الملاحظ أن نغمة الاهتمام بأحوال المرأة، وإيضاح بعض المفاهيم المغلوطة فيما يتعلق بالحقوق والواجبات بين الزوجين، باتت سمة غالبة في الخطاب الإعلامي بشكل عام أخيراً، وهو أكثر وضوحاً في الإنتاجات الرمضانية وكذلك المواد الإعلامية. ولكن من الضرورى أن تكون الأعمال التي تهتم بقضايا النساء العادلة في المجتمع أكثر من ذلك، في ظل انتشار سلبيات مجتمعية تقع ضحيتها المرأة وعلى رأسها العنف الممارس ضدها ويصل لحد القتل في وضح النهار. كما أن الطفرة التي حدثت في دراما المرأة خلال السنوات الأخيرة يعود جزء منها إلى الاهتمام الرسمي بقضاياها ومحاولات تصحيح أوضاعها من خلال مبادرات شتى، فهناك سيدات تولين منصب المحافظ وحقائب وزارية مهمة.

جهود المجلس القومى لحقوق الانسان في دعم الاعمال الدرامية التي تعمل على نشر الوعى بحقوق الانسان:

يقيم المجلس القومي لحقوق الإنسان حفلًا سنويًا لتكريم مبدعي الأعمال الدرامية التي تعرض في شهر رمضان من خلال اللجنة الثقافية، والتي بدأت عملها عام 2011، يبدأ المجلس القومي لحقوق الإنسان في رصد وتقييم

الأعمال الدرامية في شهر رمضان؛ وذلك لتكريم الأعمال التي تهدف لدعم وتأصيل قيم حقوق الإنسان في المجتمع المصري، وذلك في إطار الدور الحيوي الذي تقوم به الدراما التليفزيونية في تشكيل الوعي العام وكذلك في دعم مبادئ حقوق الإنسان. تقوم لجنة الحقوق الثقافية في المجلس باختيار قامات فكرية من المتخصصين في مجالات النقد الفني والإخراج والتمثيل، وذلك لمشاهدة الأعمال الدرامية والتحكيم بينهم وفق مجموعة من المعايير التي توازن بين قيم حقوق الإنسان والجوانب الفنية الجمالية. ويعد هذا التقليد سنويًا يتبعه المجلس القومي لحقوق الإنسان منذ 12 عامًا إيمانًا بأن توعية المجتمع بثقافة حقوق الإنسان مسؤولية مشتركة بين وزارتي الثقافة، والتعليم، والمجالس الوطنية وفي مقدمتها المجلس القومي لحقوق الإنسان.

ولا تلعب اللجنة أى دور رقابى، وتبحث فى الأعمال الدرامية المعروضة على الشاشة عن الأفضل فنيًا لتمنحها الجوائز، فليس بالضرورة أن تذهب الجائزة لعمل يقدم رسالة مباشرة عن حقوق الإنسان، ولكن الضرورى أن تذهب الجائزة لعمل جيد، ومن هنا منحت اللجنة جائزة فى عام 2020 للمسلسل الكوميدى بـ100 وش، لأنها رأت أن الضحك فى حد ذاته حق من حقوق الإنسان، ولم تتوقف اللجنة عند الانتقادات التى وجهها البعض للعمل بسبب موضوعه الذى يدور حول مجموعة تقوم بأعمال سرقة. وينحاز جميع أعضاء اللجنة لحرية الإبداع باعتباره حق أصيل من حقوق الإنسان، حيث تضم أسماء معروف عنها انتمائها لحرية التعبير، وهم الفنانة لبنى عبد العزيز والمخرج هانى لاشين والكاتبة كريمة كمال والنقاد ماجدة موريس وسيد محمود وعلا الشافعى وأندرو محسن، كما تنحاز السفيرة مشيرة خطاب رئيسة المجلس القومى لحقوق الإنسان والدكتورة نيفين مسعد رئيسة لجنة الحقوق الثقافية، لحرية الإبداع.

كما أكد إيمان المجلس القومي بحقوق الإنسان بأن الدراما عمومًا والدراما التليفزيونية على وجه الخصوص والدراما الرمضانية بشكل أكبر لها تأثير بالغ على المستويين الوجداني والسلوكي لبعدها عن الرسائل التوجيهية المباشرة، ولتقديمها القيم المطلوب ترسيخها في قالب إنساني يلامس حياة المواطنين. وبالتوازي مع هذا التأثير المجتمعي للأعمال الدرامية، يرى المجلس بأن للدراما دورها في تسليط الضوء على بعض الحقوق التي تحتاج تدخلًا تشريعيًا أو سياسات تنفيذية من أجل تفعيلها وتعظيم الاستفادة منها، وبالتالي تكون الدراما حافزًا على التغيير على المستويين الشعبي والرسمي. ودأب المجلس القومي لحقوق الإنسان على تكريم الأعمال الدرامية الرمضانية الفائزة في احتفال سنوي يُدعى إليه القائمون على تلك الأعمال تأليفًا وإنتاجًا وإخراجًا وتمثيلًا، وكذلك عدد من الشخصيات العامة المعنية بالملف الحقوقي. وتعد هذه الاحتفالية حافزًا على إنتاج المزيد من الأعمال الفنية التي تعمق بعض قيم حقوق الإنسان أو تتطرق للبعض الآخر من حقوق الإنسان المسكوت عنها.

التوصيات:

- ضرورة دراسة التأثير التراكمي للدراما على حقوق الانسان وإدراك مدى أهميته، وتشجيع الدراسات والبحوث من قبل الدراميين في مجالات تعليم حقوق الإنسان.
- العمل على إنتاج أعمال درامية وطنية في صورة حلقات محدودة على منصات المشاهدة، لتدعيم الأعمال الدرامية الاجتماعية بقيم الانتماء والهوية الوطنية.
- ضرورة التفكير الجاد في جعل الفنون خاصة الدراما من ضمن وسائل تعليم ونشر ثقافة حقوق الإنسان وذلك بالتنسيق المدروس مع العاملين في هذا الحقل، من خلال عقد دورات تدريبية لهم في مجال تعليم حقوق الإنسان وضرورة التنسيق مع المؤسسات الأكاديمية حول إمكانية عقد دورة تدريبية لكتاب ومخرجي الدراما في مجال حقوق الإنسان.
- يجب ان تتبني المجموعات والمنظمات العاملة في حقوق الإنسان بالتنسيق فيما بينها إقامة مهرجان مسرحي تحت شعار احترام حقوق الإنسان أساس للتعايش علي سبيل المثال .
- يجب على اتحاد الفنون التمثيلية بحسبانه واحدًا من منظمات المجتمع المدني عليه أن يقود صناع الدراما للمساهمة في قضايا الوطن الكبرى وذلك بالعمل علي نشر ثقافة حقوق الإنسان.
- الإهتمام بإنتاج وتقديم الأعمال الدرامية التليفزيونية المصرية التي تتناسب مع القيم والمباديء الإنسانية والأخلاقية للمجتمع المصري.
- الحرص على عدم الإكثار من عرض مشاهد العنف السلوكي والجريمة داخل الأعمال الدرامية التليفزيونية.
- الحرص على وضع نهايات سيئة للشخصيات الدرامية التي تقوم بإرتكاب الجرائم سواء بتعرضهم للمعاقبة القانونية أو لبعض النهايات السيئة التي تكون بمثابة عبرة وموعظة للتحذير من إرتكاب الجرائم .
- عدم المبالغة في عرض وتقديم مشاهد الإنحراف الأخلاقي والسلوكي لبعض الشخصيات الدرامية، حيث يجب أن تكون هذه الشخصيات الدرامية قدوة ومثل أعلى يقتدى به الشباب في المجتمع المصري في سلوكياتهم.

الخاتمة

تناول هذا التقرير أحد أهم الموضوعات على الساحة العالمية بشكل عام، وعلى الساحة العربية والمصرية بشكل خاص، وهو تأثير الدراما التلفزيونية على حقوق الانسان، وترجع أهمية الموضوع لدور الدراما التلفزيونية المؤثر في كل المجتمعات، وهى قوة لا يستهان بها لأنتشارها الواسع فى كل المجتمعات، ومساهمتها في عملية البناء القيمي والحقوقى للأنسان سلبًا وإيجابًا. حيث أن الفن جزءًا من رصيد المجتمع الحضارى، وخط الدفاع الأول عن الهوية والشخصية المصرية، فإن الدراما التلفزيونية تساهم فى تعزيز ثقافة حقوق الإنسان ونشر الوعى بها بين المواطنين. لأن الدراما التلفزيونية من أهم هذه الأشكال التى لها القدرة على التناول غير المباشر للقضايا التي تهم الجمهور ويمكنها إذا استغلت إمكانياتها وقدراتها بشكل ايجابى أن تدعم قيم حقوق الانسان وتعمل على نشر ثقافة ومبادئ حقوق الانسان.

ومن جانب اخر يمكن القول إنه مع التسليم بأن ما تشهده المجتمعات من تغيرات وتطورات سياسية واجتماعية واقتصادية لابد وأن يلقي بظلاله على المدى الطويل على ما تقدمه الأعمال الفنية من محتوى درامي؛ فإن تأثير المحتوى الدرامي على تلك المجتمعات بات حقيقة شديدة الوضوح، لا سيما فيما يخص مشاهد العنف والبلطجة وغيرها من القيم المناهضة لحقوق الانسان، وذلك في ظل بروز ظاهرة محاكاة هذه المشاهد بكثافة في الكثير من الاعمال الدرامية، الأمر الذي بات يستوجب تبني آليات رقابية تجاه المحتوى الفني غير المنضبط الذي يمكن أن يساعد في ارتفاع القيم السلبية داخل بعض المجتمعات.

الائتلاف المصري لحقوق الإنسان والتنمية